رأي القدس

تهديدات امريكا بالحرب على ايران

■ كشفت صحيفة «الصنداي تلغراف» البريطانية في عددها الصادر امس ان خبراء استراتيجيين في وزارة الدفاع الامريكية وضعوا خططا عسكرية لضرب مواقع نووية ايرانية من الغواصات النووية في البحر وبواسطة القاذفات الجوية المتمركزة في القواعد الامريكية في المنطقة.

هذه الخطط، مثلما قالت الصحيفة، هي الملاذ الاخير وبعد فشل الوسائل الدبلوماسية في اقناع ايران في وقف برامجها لتخصيب اليورانيوم والسماح بعودة التفتيش المفاجيء من قبل مراقبي وكالة الطاقة النووية الدولية.

الجهود الدبلوماسية وصلت الى طريق مسدود، والولايات المتحدة قررت من خلال استخدامها للوكالة الدولية عرض البرنامج النووي الايراني على مجلس الامن لاستصدار قرار دولي يجرم ايران، ويدين برامجها النووية، ويمهد الطريق لفرض حصار اقتصادي كمقدمة لضربات عسكرية على غرار ما حدث للعراق.

هذا التسريب حول وجود مثل هذه الخطط لضرب ايران ربما يكون بهدف التخويف والارهاب، لانه من غير المعقول ان تكشف وزارة الدفاع الامريكية عن خطط على هذه الدرجة من الخطورة والسرية الى صحافي بريطاني او امريكي، الا اذا كان الهدف هو ايصال رسالة تهديد الى ايران لعلها تتراجع عن موقفها المتصلب تجاه نواياها بالمضي قدما في عملية تخصيب اليورانيوم لانتاج الوقود النووي الذي يمكن استخدامه في تشغيل المفاعلات لانتاج الطاقة، او صنع رؤوس نووية، او الاثنين معا.

ايران ليست بحاجة فعلا الى توليد الطاقة من المفاعلات النووية، فهي تسبح على بحر من النفط والغاز، وما تقوله الادارة الامريكية في هذا الخصوص صحيح مئة في المئة، ولكن هذا لا يتعارض مع حق ايران في انتاج الوقود النووي لاستخدامه في الاغراض السلمية، مثل توليد الطاقة والاستخدامات العلمية والطبية الاخرى.

البرازيل والارجنتين ودول اخرى لجأت الى تخصيب اليورانيوم للحصول على الوقود النووي، واستخدمت هذا الوقود فعلا في اغراض سلمية، ولم يعترض احد. فلماذا الاعتراض على ايران والتهديد بقصف منشآتها النووية وتدمير بناها التحتية لانها تريد ان تفعل ما فعلته البرازيل والارجنتين ودول اخرى؟

ربما يكون هناك خوف من استخدام ايران للوقود النووي لانتاج اسلحة نووية، وهذا خوف يرتكز على تحليل منطقي، ولكن لماذا لا تقدم ايران على انتاج اسلحة نووية وهي تشاهد الولايات المتحدة تضعها ضمن دول محور الشر، وتحتل دولة مجاورة لها من الغرب (العراق) واخرى مجاورة لها من الشرق (افغانستان)؟

ان التهديد باستخدام القوة والقصف الجوي والبحري لاهداف ايرانية ربما لن ينجح في دفع ايران لتليين موقفها والتراجع عن خططها في انتاج الوقود النووي، بل قد يؤدي الى نتائج عكسية تماما، اي يدفعها الى المزيد من التصلب.

ولعل واشنطن لم تكتف بالخطيئة التي اقترفتها في حق نفسها اولا ثم في حق شعوب المنطقة عندما فتحت بابا لجهنم في العراق، وتراودها افكار اقتراف غزو آخر لايران لكي تنفتح كل الابواب على مصاريعها للنيران في قوس ممتد من خاراسان الى صور يعصف بالمنطقة كلها ويزلزل الارض من تحت اقدامها في العراق، ويضع السلم العالمي كله امام مخاطر غير مسبوقة بحيث ترتسم كل النتائج لحماقة هذه الادارة التي اخطأت في قراءة الواقع، وفي قراءة التاريخ وفي الاستفادة من العبر الراهنة، مثلما بدا انها مرشحة للمزيد من الاخطاء في استشراف المستقبل.

ان هذا ما تدلنا عليه السطور التي نشرتها صحيفة «الصنداي تلغراف»، او التي جرى تسريبها الى الصحيفة لكي تؤدي غرضاً ساذجاً وهو التهديد والوعيد.

روسيا تدعو قادة حماس لزيارتها

ديمقراطية فلسطين:

سلطة حكم أم حركة تحرير جديدة للوطن والمجتمع معاً؟

مطاع صفدي *

■ تنشغل هذه الأيام أوساط الرأي العام في فلسطين، وما يتعداها كذلك إلى محافل عربية رسمية وشعبية، وحتى إلى بعض المحيط الدولي المهتم بقضايا المنطقة، بتداعيات النجاح الانتخابي لحركة حماس والأسئلة الكثيرة والخطيرة التي تطرحها بشأن الخيارات التي لا بد في نهاية الأمر أن تحسم قيادة الحركة أمرها في تبنّي أحدها والتخلي عن بقيتها. لكن لا يبدو أنها خيارات متروكة لحرية الإرادة التي قد ترفض أو تلتزم بما تشاء. إنها بالأحرى إكراهات أكثر منها خيارات إرادوية بمعنى الكلمة. فكل قرار قد تتخذه الحركة محفوف مقدماً بظروف معقدة، ويمارس على أصحابه تناقضات الحوافز والموانع. خاصةً وأن الحسم يرقى إلى مستوى مصائر كلية تتعلق نتائجها القريبة أو المنتظرة بتحديد مستقبل المشروع الجهادي الذي ارتضته الحركة لذاتها، وقاد مسيرتها، وشكل شخصية مفهومية تخص تراثها النضالي، ومنحها امتيازاتها في عين مجتمعها داخل الوطن الصغير، وإلى أبعد حدود الوطن الأكبر.

إنها تلك النقلة النوعية الأخطر التي تواجه كل ثورة عندما توصلها إنجازاتها إلى عتبة السلطة، وتضعها مرة واحدة أمام مسؤوليات الدولة التي تصورتها ودعت إلى قيامها. فليس ثمة مشروع سياسي شعبي، ثورياً كان أو سلمياً، إلا وهو محمول على أجنحة الأحلام الجماعية ببلوغ الكيان البديل عن الواقع الراهن المرفوض والمستهدف بنوايا التغيير وخططه. وتجارب التاريخ الإنساني العام ذاخرة بنماذج مشاريع التغيير بنجاحاتها وإحباطاتها. وقصة النهضة العربية، وعبر مرحلتها الثانية التي ما زلنا نعيش ربما فصول أفولها، حافلة حقاً بمآسي الإحباطات المتوالية، المسمّاة تارة بالانقلابات وتارة أخرى بالثورات أو الانتفاضات. ولعلّ فلسطين وحدها التي لا تزال تمثل عصر ونوع الثورة الشعبية المستديمة. بينما غلبت على معظم التحولات السياسية في وطن العرب أمثلة الإنقلابات الفوقية من عسكرية أو عشائرية إلى شبه حزبية. فكانت في غالبيتها تحركات فئوية تستهدف الإستيلاء على الحكم. أي أنها لم تكن طامحة إلى ما يتعدى مستوى السلطة نحو إنشاء الدولة البديلة المحققة لمشروع سياسي بنيوي متكامل كسلطة ومجتمع في آن واحد، ومغاير حتماً لما سبقه.

وفي حال (حماس) الراهنة فالظروف الإنتخابية تدعوها إلى مجرد الإمساك بسلطة في بلد محتل أصلاً. فهي لا تمثل نفسها إلا بالقدر المسموح به من قبل هذا المحتل. وكانت (سلطة) فتح قد قبلت بالحد الأدنى من شؤون التسيير الإداري الذاتي كتعويض ـ وصفته بالمؤقت ـ عن اكتساب الاستقلال السياسي. وعبرت بذلك عن المنطوق الضمني والفعلي لاتفاقية أوسلو. فلم يكن في نية أحد أبداً من مخططي أوسلو الرئيسيين أن يتخطّى مصطلح (السلطة الوطنية) حدود الوضع الفعلي الذي بلغته الحالة المزرية لصيغة الحكم الإداري والمحلي من الاستنقاع والتفسخ وانشغال أولئك (الحكام) باستغلال المناصب والانخراط في صراعات التنافس الشخصي بين (الأبوات) وشرذمهم.

كانت تلك السلطة الوطنية هي المطلوبة بكل ما كان متوقعاً لها من الانحدار والتهاوي السريع في شباك الانحراف والتفسخ الآيلة إلى هذا العجز المستفحل في إرساء أبسط الشروط الأولية لقيام كيان دولة في يوم ما. كان الحكم الممنوح أصلاً من قبل أعدائه وحماته الدوليين. مصمماً ومصنوعاً كأفخاخ مفضوحة سلفاً، لاصطياد الثوار (التاريخيين) الذين بدورهم تقبلوا الخديعة وعملوا على تسويقها لدى شعبهم، وألدلجتها كانتصارات وطنية وقومية، تغطي هويتها الأصلية كرشاوى زائفة، فارغة من كل محتوى كمصلحة عامة حقيقية، إلا ما ينفع قبضةً من سماسرة التفاوض مع العدو، المبني على التكاذب الجامع بين أطرافه.

هل يتكرر السيناريو عينه مع الصف الجديد من ثوار فلسطين. تلك هي المسألة المركزية حقاً. ما هي الضمانات الكفيلة بالفصل بين أكل تفاحة آدم والوقوع في الخطيئة الأصلية. فكيف لا تكون أسطورة الظروف و(السياسة الواقعية)، مؤدية، وغصباً عن النوايا الطيبة المعهودة، إلى أوسلو جديدة. كيف يمكن فهم معجزة الشعار الذي خرج به (خالد مشعل) رئيس المكتب السياسي لحماس على الناس كخلاصة لمداولات أعضاء ذلك المكتب طيلة أيام وليال في القاهرة، مع أنفسهم أحياناً، ومع كل من رئيس مصر وأمين عام الجامعة العربية ورجالها. هذا الشعار الذي ينص على العبارة السحرية: الجمع بين المقاومة والسلطة.

واضح أن هناك أمثلة كثيرة سابقة لصيغة الجمع هذه بين البندقية المقاتلة وطاولة المفاوضات في وقت واحد، مارستها حركات ثورية وتحرر وطني، أشهرها ولا شك في تاريخنا العربي المعاصر الثورة الجزائرية، وبعدها ثورة الفيتكونغ الباسلة، وممارستها، سنوات طويلة، لأعنف مقاومة شعبية ضد أوحش عدوان استعماري أمريكي لهذا العصر، في غابات فيتنام المحترقة، والتفاوض السياسي في باريس مع ممثلي هذا العدوان نفسه. لكن لكل ثورة ظروفها الخاصة. وفلسطين تحديداً قد تكون فريدة في قصة التحرر الوطني العالمي. فهي لا تواجه احتلالاً من قبل عدو أجنبي فحسب، لكنه احتلال ممتد إلى استيطان طارد للشعب الأصلي، ويدّعي تملكاً أسطورياً للأرض كلها. حتى أن الصهيونية الغازية لا تعترف بوجود هذا الشعب الأصلي، كيما تسمح لدولتها أن تقبله مجرد شريك. في الوقت الذي يطالب الغرب بأن تعترف حماس بإسرائيل و(حقها) في الوجود. بينما تنادي الصهيونية كإيديولوجيا دينية بإسرائيل الكبرى، وقد تقبل مرحلياً بإسرائيل صغرى شرط استيعابها لكل فلسطين.

كثيرة هي المقترحات التي تنهال من مختلف الأطراف، عربية وإسرائيلية وأوروبية، على قادة الحركة، لإيجاد مخارج من المأزق الأيديولوجي الذي لم يعد يخص الحركة ولا جمهورها فحسب، بل راحت تتحسسه تلك الأطراف الأخرى، وكأنه مأزقها بمعنى ما؛ فتترجمه كل منها وفق مواقفها السياسية من قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وتطوراته المتناقضة. وبالرغم من أن ردّة الفعل الدولية الأولى على الفوز الكاسح لحماس كانت أقرب إلى السلبية، إلا أن الإتحاد الأوروبي خاصةً لم يغلق أبوابه كلياً. فكانت روسيا السباقة إلى التغريد خارج السرب الأمريكي الإسرائيلي. وهي التي تحاشت سابقاً وصف الحركة بالإرهابية. وقد اختار الرئيس بوتين الإعلان عن ترحيبه بزيارة قادة حماس إلى موسكو، خلال وجوده في مدريد لكي يوحي بأن الإتحاد الأوروبي لن يكون بعيداً عن هذا الاختراق للحظر. وسريعاً وافقت باريس على المبادرة الروسية. هكذا يمكن القول إن الشراكة الأمريكية الإسرائيلية لن تستطيع عزل حماس ووضعها خارج الشرعية الدولية كما تبدى الأمر للوهلة الأولى، مما كان لولا هذا الاختراق، سوف يحبط كلياً مغزى التغيير الفلسطيني ونتائجه المأمولة. إذ في النهاية، وكما كان الأمر دائماً، هنالك دور رئيسي دولي، وقد يكون حاسماً، في تاريخ تحولات الصراع الشرق الأوسطي، ومركزيته الأولى المتعلقة بتطورات القضية الفلسطينية.

ما تحتاجه هذه القضية في المرحلة الراهنة هو انبثاق قيادة جديدة مختلفة، تنقذها من هاوية التردّي المتفاقم التي انحدرت إليها في كل شؤونها الذاتية، إضافةً إلى أزمتها المصيرية المستفحلة إزاء عدو خبيث، دأب على جني المغانم المتراكمة طيلة هذه المسيرة البائسة للتسوية الزائفة، في حين أنها (القضية) لم تحصد منها إلا أشكال المغارم كلها من ضياع الأرض ومضاعفة الاستيطان، والمزيد من قتل المناضلين والمسالمين، وتشريد السكان؛ وهذا الاصرار الاسرائيلي المستقوي أبداً بالمزيد من إضعاف المفاوض الفلسطيني، على تفريغ كل حل مطروح من أيّ مكسب وطني جدي للقضية، مهما كان ملتبساً في أساسه ما بين ادعاءاته الخادعة وحصيلته التافهة على الأرض.

إنقاذ فلسطين وطنياً أولاً. استعادتها إلى مسيرتها التاريخية كحركة تحرير، لا تزال هموم صراعها مع عدوها المتمادي دائماً في فنون عدوانه وتخريبه المدروس لمكونات مجتمعها وراءها، لا تزال هذه الهموم المصيرية تعلو بضروراتها ومبادئها، على سواها من هموم التنافسات الفئوية على الحكم. فإن كان ثمة مشروع لتجديد (السلطة الوطنية) في مبناها ومعناها، فهو في كونها أولاً وآخر هي سلطة لحركة تحرير، مكافحة قبل كل شيء، وفوق كل اعتبار آخر، لتحقيق عوامل الاستقلال والسيادة، ما قبل إنشاء الدولة، ومن ثم التنافس على حكمها.

إنقاذ فلسطين وطنياً ليس له من أداة راهنة سوى أن يكون انتصار الديمقراطية فلسطينياً طريقاً نحو إعادة تشكيل السلطة كجبهة وطنية، كقيادة جديدة حقيقية لحركة تحرير شعبية، ذات مهمات مضاعفة بين إصلاح المجتمع من فساده وإفساده واستهلاك مقوماته الأخلاقية والإنسانية، وما بين استئناف فنون الصراع الواعية الذكية مع العدو، بأدوات المقاومة السلمية والمقاتلة في آنٍ واحد.

ديمقراطية فلسطين هي الرافعة التاريخية والمنتظرة لاستئناف حركة التحرير المنسية للوطن والمجتمع معاً هذه المرّة.

* مفكر عربي مقيم في باريس

ما هي دوافع الموقف الفرنسي من إيران؟

السنوسي بسيكري*

■ ليست هناك عداوة مستحكمة بين إيران وفرنسا، وبالرغم من التوتر والانقطاع اللذين شابا العلاقات لفترات متعددة خلال العقود الماضية فإن الطرفين استعادا التوافق الأعوام الأخيرة لتأخذ المصالح الاقتصادية مكانها في تحديد العلاقات، ففرنسا هي الشريك الاقتصادي الثالث لإيران وبلغ حجم التجارة بين البلدين عام 2003م المليارين يورو وكان الفائض التجاري مليار يورو لصالح فرنسا.

كما تأخذ الشركات الفرنسية مكانها في الصناعة النفطية الإيرانية ومشاريع الإعمار، وقد وقع البلدان حديثا اتفاق حماية الاستثمار بينهما هذا بالإضافة إلى اتفاقيات تقنية وعلمية أخرى.

ومن خلال إدراك حقيقة معارضة فرنسا للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ورفضها لمخطط اجتياح إيران وتحفظها على شعار «محور الشر» الذي رفعه بوش قبل غزو العراق، ومن خلال إدراك مساهمة فرنسا في احتواء تداعيات اكتشاف البرنامج النووي الايراني عام 2002 وما اعتبره مسعى لقطع الطريق على توظيف القضية لصالح المشروع الأمريكي وإبعادها عن قرارات مجلس الأمن واحتواء المسألة أوروبيا عبر المفاوضات المباشرة.

من خلال النظر في هذه الحقائق يمكن أن نفهم أن الموقف الفرنسي الراهن من قرار طهران رفع الاختام عن منشآتها النووية أبعد من مجرد القلق من نوايا القيادة الإيرانية لامتلاك السلاح النووي وان ظل هذا عاملا من العوامل المؤثرة والبارزة. كما يمكن أن نفهم أن الموقف له أبعاد تتجاوز مطلب الضغط على صناع القرار الإيراني لوقف التدخل في الشأن اللبناني عبر حلفائهم، وإن أبدت باريس ضيقها من نفوذ الجكومة الإيرانية في لبنان.

يمكن فهم الموقف الفرنسي من خلال النظر إلى جملة من التراكمات والتداخلات التي تحكم السياسة الخارجية الفرنسية. إن رد الفعل القوي جدا الذي طغى على بعض التصريحات الأخيرة للرئيس الفرنسي وبعض الرسميين الفرنسيين يرتبط بشكل مباشر بما ترى فرنسا ضرورة فعله تجاه تحديات داخلية وانتكاسات على صعيد السياسة الخارجية والأمنية الأوروبية، وإن شئت فهي نوع من إعادة ترتيب الأولويات في ظل تداعيات الخرب على العراق وأفغانستان.

أولا، يمكن أن يفسر الموقف الفرنسي الرسمي تجاه إيران وما تبعه من تحركات وتصريحات كخيار للتعاطي مع ملفات تتعلق بالحاجة إلى تطمين الشعب الفرنسي ونيل ثقة الشارع في سياسة فرنسا تجاه دور الاتحاد في تحقيق الأمن والاستقرار الدوليين وذلك بعد رفض الفرنسيون الدستور الأوروبي في ايار (مايو) الماضي وما ترتب عليه من إضعاف الثقل الفرنسي داخل مؤسسات صنع القرار الأوروبي. ثانيا، لابد من التأكيد على أن ردود الأفعال الفرنسية تجاه إيران لها علاقة بشكل مباشر برؤية باريس لموقع الاتحاد الأوروبي على الساحة الدولية وبموقع فرنسا في الاتحاد الأوروبي ضمن المنافسة بين أقطابه الكبرى ـ بعضهم يتبنى رؤى مختلفة ـ في تحديد وجهته والسيطرة على قيادته وإعادة ترتيب أوراقه. ثالثا، الموقف الفرنسي له علاقة بسياسة الاتحاد في مقابل السياسة الأمريكية وكيف ينظر المجتمع الدولي للاتحاد. ففرنسا التي عارضت السياسة الأمريكية تلميحا وتصريحا خلال العقود الماضية تريد أن يظهر الاتحاد أمام الرأي العالمي ليس بمظهر المعارض العاجز الذي لا يصنع شيئا سواء الاستنكار حيال ما يبدو للغرب كتهديد للأمن والسلام العالميين، وكانت هذه نقطة الضعف في الموقف الفرنسي والأوروبي في الحرب على العراق.

وربما ترى فرنسا في مأزق الولايات المتحدة الحالي في الشرق الأوسط فرصة لدخول الاتحاد الأوروبي في الخضم الأمر الذي دعاها لتنسيق مواقفها مع القطبين الأوروبيين، ألمانيا وبريطانيا، لتضمن ترسيخ قدم الحكومة الاتحادية في الأحداث الدولية وتتجاوز أزمة التفرق والانقسام كما حدث خلال الحرب على العراق، وفي هذا السياق يفهم تأكيد الحكومة الفرنسية على التنسيق الأوروبي والدولي في المواقف كما تكرر على لسان الرسميين وعلى لسان رئيس الوزراء الفرنسي الذي دعا إلى ضرورة الحفاظ على الموقف الثلاثي المشترك فيما يتعلق بالملف الإيراني ووجوب أن تحافظ الأسرة الدولية على وحدتها، مشددا في نفس الوقت أن تعمل في شكل يمكن معه أن تتجاوب مع أي انفتاح إيراني.

من جهة أخرى قد يفهم من التصريحات والمواقف المتشددة رغبة فرنسية في الضغط على طهران للالتزم بالخط الذي انتهجته حكومة خاتمي على المستوى الدولي حتى تتمكن من حماية مصالحها في إيران، ويرى الفرنسيون أن السياسة التي يتبناها الرئيس نجاد ستضر بمصالح باريس ليس فقط في إيران بل على مستوى الشرق الأوسط. الفرنسيون يدركون أن هناك خطا إصلاحيا يرى أن مواقف حكومة أحمدي نجاد أساءت كثيراً للعلاقات بين إيران وأوروبا ويراهنون على ترجيحه من خلال موقف موحد من قبل المجتمع الدولي في مواجهة سياسة تصادمية إيرانية في مناح متعددة وليس فقط الملف النووي.

ويدخل في هذا النطاق الحرج الذي تشعر به القيادة الفرنسية من تصريحات نجاد حول تدمير إسرائيل والتشكيك في الهولوكوست، فالرأي العام الفرنسي والأوروبي شديد الحساسية لهذه المسائل، وفرنسا ومعها أوروبا تواجه خطابا تصعيديا تتبناه تل أبيب تُحمّل فيه الدولة العبرية فرنسا وبعض الدول الأوروبية مسؤولية ازدياد المعاداة للسامية في أوروبا وانحيازها للعرب والمسلمين على حساب إسرائيل.

بالرغم من صرامة الموقف تجاه إيران، فقد تخلل الخطاب الفرنسي نغمة مرنة تجنح للتهدئة وتعليب الدبلوماسية الأمر الذي يؤكد أن التشدد موقف طارئ ومؤقت لأسباب التي ذكرنا. فقد أكدت الحكومة الفرنسية مرات رغبتها في حل أزمة برنامج إيران النووي عبر الوسائل السلمية وأشارت إلى أنه لم يتم بعد استنفاد كافة السبل الديبلوماسية. وقال الجنرال هنري بينتيغا رئيس هيئة الأركان الفرنسية مؤخرا أن استخدام القوة ضد إيران سيكون بمثابة حماقة كبيرة وأكد على ان السبيل للتوصل إلى حل سلمي يتم التفاوض بشأنه ما زال مفتوحا، بل إنه جزم أنه من غير المنطقي حاليا اللجوء إلى القوة للحيلولة دون حصول إيران على الأسلحة النووية، وهو الموقف الذي أكد عليه جاك سترو، وزير خارجية بريطانيا، في دافوس مشددا على أن الخيار العسكري ليس على الطاولة خلافا لما كرره الرئيس بوش ولما دعا إليه السناتور مايكي في الاجتماع ذاته. وملخص هذا أن فرنسا تريد من خلال إظهار الحزم إزاء التطلعات الإيرانية منع الولايات المتحدة من تفعيل الخيار العسكري الذي تتفق عليه وإسرائيل إدراكا من فرنسا بأنه سيدفع المنطقة إلى مزيد من الفوضى وعدم الاستقرار حيث ستكون وأوروبا معها الخاسر الأكبر في هذه الحالة.

* كاتب من ليبيا

الحداثة الخليجية:

عيش الوهم في مدن التسلية

د. علي محمد فخرو

■ منذ أسبوعين كتبت مقالاً عن مدن ما بعد الحداثة الخليجية وأبرزت أحد أهم ظواهرها كما يتمثل في بناء جنوني لمجمعات سكنية فارهة تفصل ساكنيها إنفصالاً شبه كلي عن حياة وساكني المدن التي تحيط بهم وتسلّمهم لإملاءات رأسمالية الخيال والوهم الجديدة:

فلا فوضاء ولازحمة سير ولا لصوص منازل ولا اختلاط أطفال ساكنيها بأطفال الطبقات المتواضعة في مدرسة أو أماكن لهو ولا مشاهدة لمتسولين من الفقراء والمهمشين كل ذلك يحدث خارج أسوار المجمعات، بينما ينعم ساكنوها بالدفء والطمأنينة والسعادة، أي بأجواء الوهم بأن مدينتهم بخير ورخاء.

غير أن مخطّطي ومديري مدن الخليج الكبرى سيذهبون إلى أكثر من ذلك في تبنّيهم لصرعات رأسمالية الوهم الجديدة:

1 ـ هناك أولاً تحرير المدنية من محدِّدات المكان والزمان والثقافة. فالمدن تتوسع وتتوسّع إلى مالا نهاية ذلك أن امتداداتها تقرره حاجات الأعمال ومضاربات الأراضي وليس حاجات ساكنيها من المواطنين. ومعالم المدن لا ترتبط بتاريخ تلك المدن وثقافة أهلها وإنما هي تقليد وهمي لمعالم مدن الآخرين: قنوات مائية اصطناعية مثل مافي مدينة البندقية، وبروج ناطحات سحاب مثل مافي نيويورك، ومجمعات لهو مثل مافي ديزني لاند، ومجمعات تجارية ومالية وفندقية مثل مافي فرانكفورت وهونغ كونغ ولندن وميلان، ووسائل رياضية بالغة التكلفة والضخامة لأنواع من الرياضة لا يوجد عشرة من ساكني المدن المواطنين يمارسونها إلخ..

وشيئاً فشيئاً تخلو أواسط المدن من الحياة والفرح ويخيم على ليلها الظلام والسكون المرعب لتصبح تماماً كما هو الحال في وسط كبريات عواصم الغرب الرأسمالي العفنة.

2 ـ أما المظهر الثاني الملفت في تخطيط وبناء تلك المدن فهو الإهتمام بكل ما سيريح زائريها وليس ساكنيها.

ولما كان الهم الأكبر لجحافل السائحين هو المتعة والتسلية تنقلب مدننا إلى أماكن للتسلية في الدرجة الأولى.

واقتصاد التسلية كما هو معروف يمثل روح وعقل رأسمالية الخيال والوهم. ولنتذكر بأن صناعة التسلية الأمريكية أصبحت أكبر حجماً من صناعة السلاح وأنها ستقود اقتصاد العالم في المستقبل المنظور.

من هنا، وكمقلدين، نبني مدن التسلية بالتركيز على أماكن التسكع وهدر الوقت، بتطوير هائل لأماكن اللقاءات للأكل وللشراب وتدخين النارجيلة وممارسة الثرثرة، بتوسع مذهل في أسابيع التسوق ورفيقه اليانصيب والتي ما إن تنتهي في عاصمة خليجية حتى تبدأ في عاصمة أخرى.

ونعزّز كل ذلك عبر تلفزيون يعرض ليل نهار برامج مسطحة ضحلة في الغناء والمسلسلات والمسرحيات وثرثرات النساء والرجال، وعبر صحف تخصّص للرياضة أضعاف الصفحات المخصّصة للثقافة، وعبر إهمال للمسرح النقدي غير الهزلي ولثقافة الطفل ولمراكز النشر والدراسات الأهلية الجادة.

وفي كل ذلك يخاطب عقل ووجدان ورغبات وأحلام الطفل في الإنسان العربي الخليجي ليبقى هذا الإنسان في مراحل المراهقة في كل شيء في حياته وليكره الإلتزام بمواقف مثل الكبار خصوصاً في السياسة وأماكن العمل والدراسة وإقتصاد الإنتاج لكن مالا يلاحظه المسؤولون عندنا أن اقتصاد التسلية في مدن الآخرين يسنده بقوة اقتصاد إنتاجي زراعي صناعي تكنولوجي بينما نبني اقتصاد التسلية عندنا على حساب التنمية الإنتاجية معتمدين على توفر ثروة هائلة مؤقتة ستنضب خلال بضعة عقود، كما أن الإنغماس في التسلية الآنية يبني حاضراً منقطعاً عن الماضي، (وهو أمر خطير في حياة أمة لاتزال في طور التفتيش في ماضيها عن ذاتها) كما يولّد إنقطاعاً عن التفكير في المستقبل (وهو أمر كارثي في حياة أمة تعيش كل مكونات التخلف).

إن هدف رأسمالية الوهم هو أن يعيش الناس في عالم تسلية دائمة تبعدهم عن الملل والضجر وعن سويعات صنعاء الذهن التي قد تقودهم الى التفكير في تصحيح مناهج حياتهم الخاطئة أو الثورة على إحوال بلدانهم وشعوبهم السيئة.

ومع الأسف فاننا باصرارنا على بناء مدن عيش الأوهام والتسلية الطاغية على ماعداها نساهم في إنجاح نظام اقتصادي أصبح منهكاً لنمط عيش الإنسانية كلها.

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: **alquds@alquds.co.uk** * *Internet:* **www.alquds.co.uk**
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 **Fax:** 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364